محاضرة الأسلوبية وتحليل الخطاب

المحاضرة الرابعة :

الأهداف العامة:

تهدف هذه المحاضرة إلى :

ـــ تعريف الطالب بالخطاب عند العرب والغربيين

الأسئلة والإشكالية :

ـــ ما هو مفهوم الخطاب ؟

ـــ ما هو مفهوم الخطاب عند العرب والغربيين ؟

ثانيا : تحليل الخطاب

1-حول مصطلح الخطاب

- الخطاب لغة: اسم مشتق من مادة (خ. ط. ب)، اعتمد ترجمة للمصطلح النقدي الغربي "Discours"، ولإدراك مدلولـه في الدراسات العربية القديمة لا بد من الرجوع إلى بعض المعاجم العربية وكتب اللغة والفكر والأدب ، و القرآن الكريم إذ ترددت مادة"خ. ط. ب" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرّة نورد فيما يأتي بعض صيغ "خ. ط. ب" في القرآن الكريم، وبعض الآيات التي تضمنتها:

خِطابا : رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا" سورة النبأ 78.

تخاطبْني في قوله : " ولا تُخاطبني في الذين ظلموا" سورة هود 11.

خَطْبُكَ: في قوله : " فما خطبك يا سامري"سورة طه 20.

الخِطَابِ : في قوله " وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " . سورة "ص"، الآية 19. خطب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، فقد دل على معنى يخص الكلام، وحيثما ورد مصطلح خطاب في كلام العرب فهو يحيل على هذا المفهوم الكلام الـخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم؛ وقيل: هو سَبَبُ الأمر، يقال: ما خَطْبُك؟ أَي ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير، والـخَطْبُ: الأَمر الذي تَقَعَ فيه الـمخاطَبة، والشأْنُ والـحالُ؛ ومنه قولهم: جَلَّ الـخَطْبُ أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن 1 .

- الخطاب اصطلاحا: تبرز ملامح مصطلح الخطاب في الفكر اللغوي العربي القديم

عند سيبويه : تحدّث عن مفهوم الكلام بطريقة تقترب مما قال به المعاصرون عن الخطاب ، إذ

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة "خطب"،ص 1194 .

نجده يقسم الكلام إلى:
-مستقيم حسن: أتيتك أمس - .المحال: أتيتك غدا - .المستقيم الكذب: حملت الجبال - .المستقيم القبيح: قد زيدا رأيت ، ويلاحظ أن سيبويه حين تقسيمه الكلام (الجملة) قد راعى المستـــــــــويين ؛ المستوى النحوي الشكلي الساكن، الذي يعتمد على الارتباطات النحوية بين الكلمات ، والمستوى الإبلاغي المتغير القائم على ارتباط معنى الكلام بالحال الذي تقال فيه.2

وهذا التقسيم أو الاستقامة في الكلام تقوم على أساس التأليف والتركيب وبناء المعنى، وصدق ما ورد فيه، ولقد استخدم سيبويه مصطلح الجملة ، وقاطع مصطلح الكلام الذي يقترب من مفهوم الخطاب، كما نستنتج أن سيبويه يريد ضم مفهوم الكلام بضم بعض الكلمات بطريقة خاصة وصولا إلى المعاني النحوية، مع مراعاة السياق الكلامي دون الفصل بين المعاني النحوية والبلاغية.

عند ابن جني: يرتبط مصطلح الخطاب باللغة وهي " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"3، فنجد في هذا التعريف أربعة عناصر أساسية ترتبط بالخطاب المعاصر - والملاحظ أن ابن جني قد قارب مصطلح الخطاب من خلال توضيح علاقة اللفظ باللفظ و علاقة اللفظ بالمعنى، وعلاقة الحروف ببعضها-: طبيعة اللغة أصوات، وظيفتها تعبيرية، اجتماعية أي مرتبطة بالجماعة اللغوية، علاقة نفسية بين الفكر واللغة.

عند عبد القاهر الجرجاني: يؤكد الجرجاني(ت 471 هـ) من خلال شرحه للطاقة التي يتضمنها الخطاب والتي يكون على إثرها قابلا للامتداد أو التقلص فيقول: "لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها مستطلعا أو يكون جاهلا بذلك، فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه فيكون معنى اللفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر، وإن كان جاهلا كان ذلك في وصفه أبعد..."4 ، ولقد انتقى الجرجاني معنى النحو وأعطاها الخاصية التواصلية، هذا ما يتوافق مع طاقة الخطاب، إذ يتجاوب كل من الباث والمتلقي كي تتم عملية التواصل بنجاح، إن بنية الخطاب عند الجرجاني هي التي تساعد على فهم محتوى الخطاب من خلال النظم، (واعلم أن ما ترى أنه لابد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواضيعه)5 و يقول: "إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما، كان وصول المعنى إلى قلبك تلوى وصول اللفظ لإلى سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه".6 وفي تحديده للوظيفة الإبلاغية نجد الجرجاني يركز على منطقية اللغة وفق منظور نحوي، ويقيم دلالة الخطاب اللغوي على قاعدة الإسناد التي تجعلنا ننظر إلى ثلاثة أطراف أساسة في عملية الإبلاغ وهي: المسند وهو محتوى الخطاب الإبلاغي، ، والمسند إليه أو المخبر عنه وهو إحداث فائدة الكلام، و ناقل الإسناد أو المخبر أو الباث وهو الذي يقوم بتركيب الكلام في نفسه ثم يبثه إلى متلقين.

2- مفهوم الخطاب عند الغربيين :

---

2 - سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط. 3، القاهرة 1988، ج 1.ص25.26.
3 -ينظر: ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، ج 1، ص 33..
4 - ينظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص254.
5 - ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص67،68.
6 - المرجع نفسه ، ص183.

عند دي سوسير: إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"، ولقد فرّق بين ثلاثة مصطلحات أساسية هي: اللسان، اللغة، والكلام، فاللغة عنده نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة ممارسة الكلام ، أما اللسان فهو الذي بواسطته يستطيع الإنسان التعبير عما في فكره ونفسه من خواطر وإحساسات، وأماّ الكلام فهو فعل ملموس ، أو كما يعبر عنه دي سوسير : إنه مجموع ما يقوله الأفراد ، فالكلام نتاج فردي، ناتج عما تقوم به عمليات النطق 7 واللغة نتاج اجتماعي واللسان نتاج أجيال أو نتاج تراكمات، فالظاهرة اللسانية حسب دي سوسير تشتمل على ثلاثة جوانب:اللسان،اللغة،الكلام.ليصبح الخطاب عند ديسوسير مرادفا للكلام.

عند رومان جاكبسون: أهم ما جاء به نظريته في وظائف اللغة التي تقوم على ست وظائف أساسية ومختلفة تتطلب ستة عناصر وهي على التوالي: المرسل، المرسل إليه، قناة الاتصال، الرسالة، شفرة الاتصال، والمرجع، إن هذه العناصر الستة تقوم بدورها بفعل وظائف ستة، فإذا كانت عملية الاتصال تهدف إلى توضيح موقف المرسل من الرسالة اللغوية، كانت الوظيفة تعبيرية، وأما إذا كان الهدف التأثير على المتلقين فإن هذه الوظيفة الإفهامية، وأما إذا كان هدف العملية تقوية الاتصال والصلات الاجتماعية أو لفت انتباه المرسل إليه فهي وظيفة تنبيهية ، والتي تحافظ على العملية الاتصالية، وتجعلها دائمة ومستمرة، وأما إذا كان الهدف من العملية التواصلية إبراز الرسالة والتركيز على شكلها فتكون بذلك الوظيفة وظيفة شعرية لأنها تبرز شكل الرسالة الإبداعي، أما إذا كان هدف الرسالة هو فك شعرية اللغة أو شرح بعض الكلمات المعجمية فهي وظيفة ما وراء اللغة أو الوظيفة المعجمية، أما إذا كانت الرسالة تركز على ما هو موجود خارجيا، وتحيل على أشياء بعينها فهي بذلك تولد الوظيفة المرجعية**8**، استطاع رومان جاكبسون أن يبرز مكامن النظرية التواصلية التي تعد قاعدة الخطاب.

عند هاريس: يتعدى الجملة إلى الخطاب حيث عرّف الخطاب بأنه ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعيّة، خطاب مقابل جملة : يمثل الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة وهذا هو المعنى الذي يقصده هاريس 1952 عندما يتحدث عن الخطاب9.

عند إيميل بنفيست: كل فعل للقول يفترض متكلما وسامعا، بحيث تكون للأول رغبة التأثير في الثاني ، إذ يعتبر أن الخطاب يرتكز على وظيفة التبليغ، وإيصال المعلومة إلى الآخر ، اقترح ثنائية القول والفعل :فالقول يعني جملة أو متوالية جمل معينة، تعد منتوجا محققا في استقلال كلي عن الذات، في حين أن فعل القول، " يحيل على نوع من الاستعمال الفردي للسان"، فالخطاب يتسع ليشمل كل الأجناس الخطابية. بدءا بالحوار المتبادل اليومي، وانتهاءا بالخطبة البليغة، بما في ذلك الكتابة التي تعيد إنتاج الخطابات الشفوية كالمراسلات والمذكرات، ويرى أنّ الجملة تخضع لمجموعة من الحدود، إذ هي أصغر

---

7 - ينظر : محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ، 1991م، ص200.

8 - أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 2، الجزائر 2005،ص149.

9 - ينظر : سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي، ، ص17.

وحدة في الخطاب، ومع الجملة نترك مجال اللسانيّات كنظام للعلامات على اعتبار أنّ الجملة تتضمّن علامات عديدة وليس علامة واحدة، وندخل إلى مجال آخر حيث اللسان أداة للتواصل نعبّر عنه بواسطة الخطاب . إن إلقاء نظرة على نص من حيث هيكلته في اللسان يجعل منه ملفوظا والدراسة اللسانية لظروف إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا، يطلق الملفوظ للدلالة على نتاج فعل التلفّظ سواء كان كلمة أو جملة أو نص، كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص ،وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا ، فالخطاب إذن يضطلع بمهمة توصيل رسالة، ولذلك يمكن القول إن للخطاب جذور في اللسانيات ،لكونه يستمد وجوده من ثنائية اللغة والكلام ،و الملفوظ الذي يراه اللسانيون نصا يراه النقاد خطابا .

عند أفرام نعوم تشومسكي: ظهرت ملامح مصطلح الخطاب عنده من خلال نظريته التوليدية التحويلية القائمة على عدة مبادئ:

1 - اللغة: لقد عرّفها تشومسكي على أنها مجموعة من الجمل لها شكل نطقي خاص "من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة من الجمل متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر"10.

2 - الكفاءة: مجموع المعارف المكتسبة والباطنية، ومجموع القواعد المخزنة في ذهنه، فالجميع يملك كفاءة اللغة ، أما الأداء فهو التطبيق الشخصي والخاص لهذه اللغة إنه "الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية"11.

3 - التوليد والتحويل: إن التوليد هو القدرة التي يمتلكها الإنسان لتخزين وفهم عدد غير محدود من الجمل، إنها قدرة إبداعية "إننا بإتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة، أما التحويل فهو إمكانية المتكلم تحويل البنى العميقة والكامنة للغة إلى بنى سطحية، فتشومسكي يميز بين نوعين من الجمل وهما: الجملة النواة، وهي الجملة الأساسية أو هي البنية العميقة، والجملة المحوّلة التي تكون مركبة ومعقدة، ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة، وتامة، وصريحة، وايجابية، ومبنية للمعلوم، والجملة المحوّلة بأنها تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة وتكون إما استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة.

4 - البنية السطحية والبنية العميقة: البنية العميقة هي جملة العمليات التي يقوم بها الفكر، أي الجملة في مستواها التجريدي الكامن في فكر صاحبها، أمّا البنية السطحية فهي التجليات والتمظهرات البادية في استعمال الإنسان للجملة للتواصل، فالبنية العميقة هي ما هو موجود بالقوة، والبنية السطحية هي ما هو موجود بالفعل وعلى أرض الواقع، والاستعمال اللغوي .

عند ميشال فوكو: الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز الكيفية التي ينتج بها الكلام كخطاب ، وهو في البحث اللساني "كتلة نطقية لها طابع الفوضى، وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة، ولا هو تماما النص بل هو فعل يريد أن يقول، فقد يكون القول غير مفهوم ومبهم وغير سليم التركيب كالهذيان، ولا يمكن أن نطلق على الهذيان مصطلح خطاب لأننا نفهم من لفظة خطاب أنه متماسك ومترابط وصحيح ومفهوم".12

---

10 - أحمد مومن : اللسانيات ، ص209.

11 - المرجع نفسه،ص210.

12 - ينظر : رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب،،الجزائر :مختبر جامعة عنابة ،2006 ،ص 85.

عند عبد السلام المسدي: يعتبر الخطاب" كياناً أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه، وقد تولّد عن ذلك تيار يعرّف الملفوظ الأدبي بكونه جهازاً خاصاً من القيم طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته، وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنيه ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاوراً خاصا" 13.

عند رولان بارث: "يبدو أن الكلام سيبقى خاضعا للهسهسة، كما يبدو أن الكتابة ستبقى خاضعة للصمت، ولتميز الإشارات، وعلى كل حال فإن ثمة معنى سيبقى دائما لكي تحقق اللغة به متعة تكون خاضعة لمادتها"، فاللغة إذن تتشكل من موسيقى أصوات، تقدم معنى، أو مجموعة أصوات لها معنى، إنها رموز يتعرف عليها المتلقي أو السامع، فتكون خطابا من تلك الهسهسات اللغوية. لقد جعل رولان بارث الممارسة النصية وفعل الكتابة والقراءة أحداثا يجعلك تحس بنشوة ومتعة ولذة في الكتابة أو القراءة أو فيهما معا، أو في مباشرة هذا النص الزئبقي " إننا باللغة لمغمورون، مثلنا في ذلك مثل صغار الأطفال، إنهم لا يرفض لهم طلب أبدا، أو لا يلومون على شيء فعلوه أبدا، أو في أسوأ الأحوال لا يسمح لهم أبدا، وإن هذا رهان لابتهاج متواصل، ورهان للخطة يخنق فيها الإفراط في الكلام لذة لكلام، فيقع في المتعة".14

عند "دومينيك مانكينو": يحدد "مانكينو" الخطاب باعتباره مفهوما يعوض الكلام عند دي سوسير، ويعارض اللسان، ويستخلص من ذلك أن الجملة لا تدخل في إطار اللسان، ولكنها تنتمي إلى الكلام موقع الفعالية والذكاء ، كما يكشف عن موقف كل من هاريس و بنفنيست من الخطاب، منتهيا إلى أن تحليل المحتوى تطور عبر فضاء أهملته البنيوية اللسانية، لكن العلوم الإنسانية كانت في أمس الحاجة إليه لا سيما علم الاجتماع، يميز بين الملفوظ والخطاب بالقول الملفوظ متتالية من الجمل الموضوعة بين بياضين دلاليين ، أما الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر خطابية مشروط بها ، ويركز "مانكينو" في هذه المقدمة المنهجية على تحديد ستة تعريفات للخطاب، هي كالآتي:

1 ـ يعتبر الخطاب مرادفا للكلام عند دي سوسير، وهو المعنى الجاري في اللسانيات.

2 ـ الخطاب هو الوحدة اللسانية التي تتعدى الجملة لتصبح ملفوظا.

3 ـ يتبنى تعريف هاريس الذي وسع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة.

4 ـ تمايز المدرسةُ الفرنسيةُ بين الملفوظ والخطاب، فالملفوظ ـ بالنسبة إليها ـ متتالية من الجمل الموضوعة بين (انقطاعين تواصليين)، أما الخطاب فهو الملفوظ المعتبر من وجهة نظر حركية خطابية، مشروط بها.

5 ـ إعادة التذكير بتعريف بنفنيست السابق. غير أنه يشير إلى أخذ هذا التعريف من الوجهة التي تعتبر أن وجود خطاب يقتضي وجود نية تأثير المرسل في المتلقي.

6 ـ تعريف أخير، يعارض بين اللسان والخطاب، فاللسان ينظر إليه ككل منته وثابت العناصر نسبيا، أما الخطاب فهو مفهوم باعتبار المآل الذي تمارس فيه الإنتاجية، وهو "الطابع السياقي" غير المتوقع الذي يحدد قيما جديدة لوحدات اللسان.أي أن "..الخطاب مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة"15.

---

13 - ينظر: عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس ،الدار التونسية للنشر، ط. 1،.ص110.

14 - رولان بارث: لذة النص، ترجمة منذر عياشي، بيروت ، مركز الإنماء الحضاري، ط. 2، 2002، ص 19.

15 - ينظر : جابر عصفور : عصر البنية من ليفي شتراوس إلى فوكو ، بغداد ، دار الآفاق العربية ، 1985، ص269.